Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Araştırmaları Merkezi
Kütüphanesi

الكافي في الموسيقى

تأليف

أبي منصور الحسين بن زيلة

المتوفى سنة ٤٤٠ هـ

تحقيق

زكريا يوسف

توزيع

دار القلم

القاهرة

١٩٦٤

المقدمة

ابن زيلة[1] :

هو أبو منصور الحسين بن محمد — أو ابن طاهر — بن زيلة ، أصفهانى الأصل والمولد[2] ، وذكره ابن أبى اصيبعة باسم : أبو منصور بن زيلا[3] .

لم تذكر لنا المصادر العربية والافرنجية — التى نوهت به — تاريخ ميلاده ، غير أنها أشارت إلى أنه توفى سنة ٤٤٠ هـ — ١٠٤٨ م عن عمر قصير لم يبلغ معه سن الكهولة .

كان ابن زيلة من خواص تلاميذ الشيخ الرئيس ابن سينا ، ومن بطانته ، وكان عالماً بالرياضيات ، وماهراً فى صناعة الموسيقى ، حتى أطلق علية لقب « الحكيم » وقد وضع عدة مؤلفات دلت على غزارة علمية وهى :

١ — اختصار طبيعيات الشفاء لابن سينا .

٢ — شرح رسالة حى ابن يقظان لابن سينا وهى غير رسالة ابن طفيل .

٣ — كتاب فى النفس .

---

(١) انظر ترجمته ومصادرها فى :

البيهقى : تاريخ : حكماء الإسلام ص ٩٩

حاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ — ص ٨٦٢

ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ج ٢ — ص ١٩

الزركلى : الأعلام ج ٢ — ص ٢٧٨

عمر كحالة : معجم المؤلفين ج ٤ — ص ١٣

قدرى طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، ص ٤٠٠ من الطبعة الثالثة

Brockelmann : G. A. L. GI, 458, S.I 829

Farmer (H. G) : A History of Arabian Music P. 220

(٢) تاريخ حكماء الإسلام ص ٩٩

(٣) عيون الأنباء ج ٢ — ص ١٩

٤ — الكافى فى الموسيقى .

ومن كلماته وأقاويله — وكان عارفاً بعلوم العرب ، كاملا فى صناعة الإنشاء — قوله :

لا تتفكر فى الأمور المستقبلة ، فإنك لا تدرى ما يأتيك منها وما لايأتيك .

إذا عادى بعض أعدائك بعضاً ، كان فى اشتغال بعضهم ببعض شاغل عنك ، وإذا تنازعت القوة الشهوانية والغضبية ، فرغت أنت من أذيتها ، لذلك قال أرسطو : أصلح الشهوانية بالغضبية ، والغضبية بالشهوانية .

وإذا أصابك شر فقل : ربما يكون أردأ منه ، ولعل الذى كرهت من ذلك الأمر ؛ داع إلى ما هو خير منه .

تحقيق الكتاب :

هذا الكتاب عثرت عليه سنة ١٩٥٤ فى خزانة المتحف البريطانى بلندن ، ضمن مجلد برقم Or. 2361 يحوى مجموعة كتب ورسائل خطية فى الموسيقى ، منها باللغة العربية ، ومنها بالفارسية ، وإليك أسماء هذه الكتب والرسائل حسب تسلسلها فى المجلد .

١ — رسالة فارسية تبحث فى آراء المتصوفة والفقهاء فى الموسيقى ، من تأليف محمد بن جلال رضوى سنة ١٠٢٨ هـ .

٢ — رسالة فارسية حول جواز السماع ، تأليف عبد الجليل ابن عبد الرحمن ، مقدمة لنوّاب مسيح الزمان .

٣ — كتاب الأدوار فى الموسيقى[1] .

٤ — شرح الأدوار[2] .

---

(١) لم يذكر فى المخطوط اسم مؤلفه ، ولكنه لصفى الدين عبد المؤمن البغدادى .

(٢) لا ذكر لاسم مؤلفه .

٥ — شرح كتاب الأدوار ، شرح مولانا مبارك شاه .

٦ — شرح رسالة الأدوار ، لفخر الملة والدين الخجندى .

٧ — رسالة فارسية تدعى « موسيقى حكمت علائى » لابن سينا .

٨ — رسالة يعقوب بن إسحق الكندى فى خبر تأليف الألحان[1] .

٩ — رسالة فى الموسيقى لمجهول ، قُدّمت إلى السلطان محمود ابن مراد العثمانى .

١٠ — كتاب الكافى فى الموسيقى لابن زيلة .

١١ — رسالة يحيى بن المنجم فى الموسيقى .

١٢ — الورقة الأولى من كتاب الموسيقى الكبير للفارابى .

١٣ — رسالة فارسية بعنوان : كشف الأوتار ، تأليف قاسم بن دوست على البخارى ، مقدمة إلى الملك جلال الدين أكبر .

١٤ — رسالة فارسية بعنوان : كنز التحف در موسيقى ، لم يذكر اسم مؤلفها .

أما كتاب الكافى فى الموسيقى الذى نحن بصدده فيقع فى المجلد من الورقة ٢٢٠و — ٢٣٧ ظ ، ويتألف من أربعة وثلاثين صفحة ، بحجم ١٧ × ٩ سم ، وتتألف الصفحة من ٢٣ سطراً × ١٢ كلمة فى المعدل ، وهو بخط فارسى منقوط وغير مضبوط .

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب الكافى فى الموسيقى لأبى منصور ابن زيلة ، قال الشيخ أبو منصور الحسين بن محمد بن عمر بن زيلة . . . »

آخره : « . . . فيوجد سائر النغم بهذه الحيلة وهذا التدبير ، تمت الكتاب روزجهارشنبة فى غرة شهر حميد الأولى [كذا] سنة ١٠٧٣ وتم مقابلته بالأصل ٢٥ محرم سنة ١٠٧٤ دربلدة كشمير دليذر [كذا] » .

(١) نشرت هذه الرسالة محققة تحت عنوان : رسالة فى خبر صناعة التأليف ، فى كتابى « مؤلفات الكندى الموسيقية » بغداد ١٩٦٢

ويتبين من هذا أن الناسخ فارسى ، لايجيد اللغة العربية ، بالإضافة إلى كونه لايعرف من علم الموسيقى شيئاً ، كما يبدو من كثرة الأغلاط الفنية التى نجدها فى المخطوط ، والتى لايمكن أن تقع فيما لو كان الناسخ من أهل الموسيقى ويفهم الموضوع الذى يقوم بنقله .

لهذا جاء الكتاب مشحونا بالأخطاء النحوية ، والتحريفات اللغوية ، عدا ما هناك من كلمات وأسطر قد ترك مكانها بياضاً ، وعبارات ساقطة من المتن .

ولقد كانت نسخة المتحف البريطانى هذه معروفة لدى المستشرقين بأنها النسخة الوحيدة المعروفة فى العالم من هذا الكتاب[1] ، غير أنه تبين لى — نتيجة تتبعى لهذا الموضوع — أن هناك نسخة ثانية منه فى خزانة رضا برامبور بالهند .

ونسخة رامبور هذه ضمن مجلد برقم ٣٠٩٧ يحوى مجموعة رسائل موسيقية ، ويقع فيه هذا الكتاب من الورقة ١ إلى ٢١ ويتألف من أربعين صفحة ونصف ، وتتألف الصفحة من ١٧ سطراً × ١٤ كلمة فى المعدل ، وهو بخط فارسى منقوط وغير مضبوط ، ومنه نسخة مصورة فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، جاء فى البطاقة المرفقة بها أن تاريخ النسخ هو القرن التاسع للهجرة ، وأن اسم المؤلف هو : أبو منصور بن زيد ، والصواب : ابن زيلة .

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم كتاب الكافى فى الموسيقى لأبى منصور ابن زيد [كذا] قال الشيخ أبو منصور الحسين بن محمد بن عمر بن زيلة علم الموسيقى يشتمل على بحثين . . . »

آخره : « . . . ويرفع الإصبع عن الثقب التى تقارب تلك النغمة

(١) انظر تاريخ الموسيقى العربية لفنرى فارمر ، ترجمة الدكتور حسين نصار ص ٢٦٠

إلى أن يخرج منه تلك النغمة التى يحتاج إليها فيوجد سائر النغمة بهذه الحيلة وهذا التدبير تمت الكتاب [كذا] » .

والظاهر أن ناسخ هذه النسخة أيضاً فارسى لايجيد اللغة العربية ، كما لا يعرف الموسيقى ، لهذا جاءت هذه النسخة مشحونة بالأخطاء .

ويبدو من مقابلة النسختين : أن نسخة المتحف البريطانى منقولة عن نسخة رامبور ، بدليل أن الأخطاء واحدة فى النسختين ، وهناك فراغات فى نسخة رامبور هى بنفس المكان فراغات فى نسخة المتحف البريطانى ، وإليك صورة أحدها كما جاء فى النسختين .

فقرة من مخطوط رامبور

الفقرة ذاتها من مخطوط المتحف البريطانى

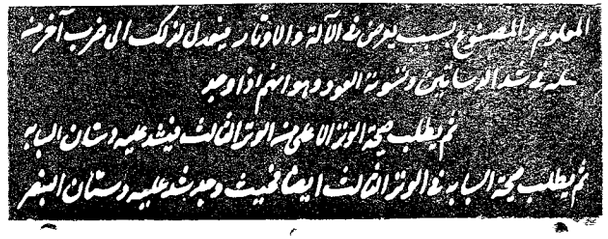

ومن هذا يتبين أن نسخة المتحف هى صورة طبق الأصل تقريبا من نسخة رامبور بأخطائها وتحريفاتها وعباراتها الساقطة من المتن . وإن النسختين ما هما بالحقيقة إلا نسخة واحدة .

وقد اعتمدت أنا فى تحقيق الكتاب على النسختين ، نسخة المتحف أولا لأنها أكثر وضوحاً فى خطّها ، ثم نسخة رامبور التى عثرت عليها بعدها .

وبذلت ما بوسعى لتصحيح ما جاء من الأخطاء ، وتعديل التحريفات ، وملء الفراغات ، واتبعت فى التحقيق طريقة « النص المختار » فأثبتّ فى المتن النص الذى بدا — حسب اجتهادى — أنه يفصح عن رأى المؤلف ، ويؤدى إلى ما يقصده .

ورمزت لنسخة المتحف بالحرف « م » ، وأشرت فى الهامش إلى نص العبارة الواردة فى الأصل ، مع العلم أننى لم ألتزم هذا فى الأخطاء الإملائية والنحوية ، لأنها كثيرة ، ولأن إثباتها مما يثقل الهوامش ، ولا فائدة فيه للقراء ، ورمزت لنسخة رامبور بالحرف « ر » وقابلتها مع الأولى ، غير أنى لم أجد من الاختلاف بين النسختين ما يستحق إثباته ، عن نسخة رامبور ، فاكتفيت بإثبات البعض المهم منها .

وأضفت إلى المتن بعض الكلمات والجمل الساقطة فى الأصل ، فوضعتها داخل قوسين مضلعين ليتبين للقارئ أنها من عندى ، كما وضعت فى سياق المتن أرقام أوراق نسخة المتحف البريطانى بالأرقام الأفرنجية لتتميز بسهولة ، ورمزت بالحرف « r » إلى وجه الورقة (recto) وبالحرف « v » إلى ظهرها (verso).

وأضفت إلى المتن أيضاً بعض الرسوم والشروح بالعلامات الموسيقية الحديثة ، إلى جانب العلامات القديمة التى استعملها المؤلف ، لتمكين القارئ الحديث — الذى يدرس الموسيقى اليوم بغير أسلوب الأمس — من فهم الموضوع ، كما أشرت فى الهوامش أيضاً إلى بعض المراجع المفيدة للباحث فى هذا المجال .

ولما كان الكلام متصلاً فى المخطوط ، والمواضيع مندمجة ببعضها ، فقد رأيت أن أفرقها عن بعضها ، وأضع لكل منها عنواناً يدل على ما يحتويه ذلك الموضوع ، ليسهل الرجوع إليه من الفهرس .

الصفحة الأولى من مخطوط المتحف البريطانى(*)

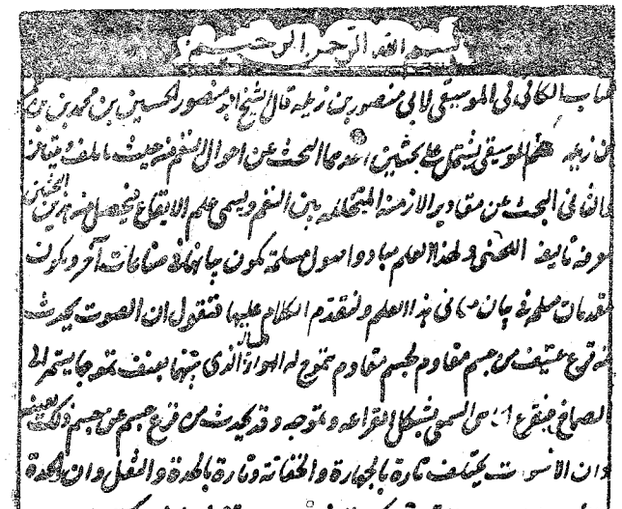

(*) بإذن أمناء المتحف البريطانى .

الصفحة الأولى من مخطوط رامپور

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الكافى فى الموسيقى لابى منصور ابن زريق قال الشيخ ابو منصور الحسين ابن محمد بن عمر
بن زريق علم الموسيقى ينقسم على جزئين احدهما البحث عن احوال النغم من حيث يتالف
ويتنافر والثانى البحث عن مقادير الازمنة المتخللة بين النغم ويسمى علم الايقاع فيحصل من
هذين الجزئين معرفة تاليف اللحنى ولهذا العلم مبادو واصول مسلمة يكون بها نهاية مقدمات آخر وتكون
هذه المقدمات مسلمة فى بيان معانى هذا العلم ونقدم الكلام عليها فنقول ان الصوت يحدث
من قرع عنيف من جسم مقاوم لجسم مقاوم تموج له الهواء الذى بينهما بعنف ثم يسرع الى
الصماخ فيقرع الماس السمعى بشكل القارعة وتوجد وقد يحدث من قرع جسم عن جسم فكذلك يعرض
وان الاصوات تختلف تارة بالجهارة والخفاتة وتارة بالحدة والثقل وان الحدة
والثقل يحالان بها تختلف حكم النغم فى تلاوهما وتنافرهما اذ هما كمقادير واعداد
فتختلف اضعافا وتناسب تشابها وان سبب الحدة صلابة المقروع وملاسته وفى بعض
الاجسام وقصره وشدة الحركة فى تحريك بالحاد الحدة والزاد الحجم واتصاف الاجسام
بعضها بحيث ينفذ الهواء وقربه من النفخ فى بعضها فيحدث عن هذه الاسباب تموج
قوة وطلاسة وتراخى اما من الهواء المتموج فيتادى على هذه الصورة الى السمع
وسبب الثقل اضداد هذه وان كل واحد من هذه الاسباب محتمل للزيادة والنقصان
فيقتضى زيادة ونقصان المسبب الذى هو حدة الصوت وثقله على نسب متشابهة فاذا
زادت الاسباب زادت المسببات على تناسب واحد وبالعكس فتكون نسبة